

الأحوال النحوية عند أبي حيان الغرناطي في البحر المحيط (السماع والقياس أنموذجاً)

م.م. حسام الدين محمد حنفوش

مديرية تربية محافظة الانبار/ قسم تربية الفلوجة / مدرسة صناع الأبداء المختلطة

hussam.mh2020@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث الموسوم بـ الأحوال النحوية عند أبي حيان الغرناطي في البحر المحيط (السماع والقياس أنموذجاً) دراسةً وصفيةً تحليليةً مقارنةً لمنهج الإمام أبي حيان الغرناطي الأندلسي (٦٥٤-٧٤٥هـ) في توظيف أصلي السماع والقياس أثناء معالجته الأحوال النحوية في تفسيره الموسوعي "البحر المحيط". ويسعى البحث إلى كشف الكيفية التي تعامل بها أبو حيان مع هذين الأصلين، وتحديد الضوابط المنهجية التي حكمت ترجيحه للأراء النحوية أو ردّه إياها. يعتمد البحث في منهجه على ثلاثة مناهج متكاملة: الوصفي التحليلي في استجلاء الأنماط النحوية، والاستقرائي في تتبع الشواهد ومواضع السماع والقياس، والمقارن في الموازنة بين أبي حيان ومعاصريه كالزمخشري وغيره. وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج أبرزها: أن أبا حيان يُقدّم السماع المتواتر على كل قياس تقديمًا مبدئيًا ثابتًا، وأن موقفه من رفض الاستشهاد بالحديث النبوي في النحو موقفٌ منهجي قائم على اعتبارات رواية اللفظ لا على تقليل شأن السنة، وأن "البحر المحيط" بنيةً نحوية متكاملة مصبوبة في قالب تفسيري لا تفسيرٍ نحويٍ تعليلي وحسب، وأن أثره الأكاديمي لا يزال متجددًا في الدراسات اللسانية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: أبو حيان الغرناطي، البحر المحيط، السماع، القياس، الأحوال النحوية، التفسير اللغوي، النقد النحوي.

Abstract

This study, entitled "Syntactic States in the Work of Abu Hayyan al-Gharnati in Al-Bahr al-Muhit (Hearing and Analogy as a Model)", presents a descriptive, analytical, and comparative examination of the methodology of the Andalusian scholar Abu Hayyan al-Gharnati (654-745 AH) in employing the two foundational principles of hearing (al-samā') and analogy (al-qiyās) in his treatment of syntactic structures within his encyclopedic exegesis Al-Bahr al-Muhit. The study aims to uncover how Abu Hayyan handled these two principles and to identify the methodological criteria that governed his preference for certain grammatical opinions or his rejection of others. The research adopts three integrated approaches: a descriptive-analytical method to clarify syntactic patterns, an inductive method to trace evidence and instances of hearing and analogy, and a comparative method to examine Abu Hayyan's views alongside those of his contemporaries, such as al-Zamakhshari and others. The study concludes with several key findings, most notably: Abu Hayyan consistently prioritizes transmitted linguistic evidence (hearing) over analogy; his regarding the rejection of using Prophetic Hadith as grammatical evidence is methodological and based on concerns about the accuracy of wording transmission rather than diminishing the value of the Sunnah; Al-Bahr al-Muhit represents an integrated grammatical framework embedded within a tafsir structure rather than merely a marginal grammatical commentary; and his scholarly influence continues to be relevant in contemporary linguistic studies. **Keywords:** Abu Hayyan al-Gharnati, Al-Bahr al-Muhit, hearing (al-samā'), analogy (al-qiyās), syntactic states, linguistic exegesis, grammatical criticism.

المحور الأول مقدمة البحث وإطاره المنهجي

أولاً: المقدمة

أ- تأصيل الموضوع ومنزلة النحو في العلوم الإسلامية

يُعَدُّ النحو العربي من أجَلِّ العلوم الإسلامية وأرسخها صلةً بفهم الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ فهو الأداة التي تُحكم قراءة النصوص الشرعية وتصور ألفاظها من اللحن والتحريف. وقد أدرك أئمة الإسلام هذه الحقيقة، فقال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ): «من تجرَّ في النحو اهتدى إلى كل

العلوم». وقرّر ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ): «لو سقط علم النحو لسقط فهم القرآن وفهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم»^(١). وقد نبّه العلماء إلى أن فهم القرآن الكريم مرتبط ارتباطاً عضوياً بمعرفة النحو؛ إذ بتغيّر الحركة الإعرابية قد يتحوّل المعنى تحولاً جذرياً. ومن أجلى الأمثلة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقد صرّح السيوطي بأن من شروط المفسر إحاطته بجملة علوم اللغة في مقدمتها النحو والصرف والبلاغة^(٢). وقال ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ): «إن مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب... فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة»^(٣).

ب - التعريف بموضوع البحث

في هذا السياق يبرز اسم الإمام أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي (٦٥٤هـ - ٧٤٥هـ)، إمام عصره في النحو والتفسير والقراءات، لقّبه السيوطي بـ«نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه». اتسم منهجه النحوي في تفسيره «البحر المحيط» بالاستقلالية النادرة والنقد الرصين؛ فهو لم يُقلّد مذهباً نحوياً بعينه، بل اعتمد على الدليل والبرهان من السماع والقياس في ترجيح الآراء أو ردّها^(٤).

ت - مشكلة البحث وتساؤلاته

تتمحور مشكلة هذا البحث حول الكشف عن الكيفية التي تعامل بها أبو حيان مع الأحوال النحوية في ضوء أصلي السماع والقياس، ويسعى إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية:^(٥)

١. ما مفهوم السماع والقياس عند أبي حيان كما يتجلى في البحر المحيط، وما الضوابط التي حكمت تعامله مع كلّ منهما؟
٢. كيف وظّف أبو حيان السماع في تقرير الأحوال النحوية أو ردّها، وما المصادر التي اعتمد عليها؟
٣. ما دور القياس في استنباط الأحكام النحوية عند أبي حيان، ومتى يُقدّم السماع على القياس أو العكس؟
٤. ما أبرز الأحوال النحوية التي تناولها من منظور السماع والقياس، وما مواقفه النقدية منها؟
٥. إلى أي مدى تمثل أبو حيان الاستقلالية المنهجية بعيداً عن التعصب للمذاهب النحوية السائدة؟

ج - أهداف البحث وأهميته

١. التعريف بمنهج أبي حيان النحوي؛ وإبراز مدى اعتماده على السماع والقياس في معالجة الأحوال النحوية، مع تحديد الضوابط التي اعتمدها في القبول والرد.

٢. تحليل نماذج تطبيقية مختارة: من التفسير توضح منهجه، مع مقارنة مواقفه بآراء سابقه كالزمخشري وابن عطية.

٣. الكشف عن أصالة أبي حيان ومنهجه النقدي؛ ومدى استقلاليته، وإبراز السمات المميزة التي جعلت نهجه مدرسة قائمة بذاتها.

٤. إثراء الدراسات الحياتية: بتسليط الضوء على جانب محوري لم ينل حظه الكافي من الدراسة المتخصصة.

ثانياً: الدراسات السابقة

تتعدد الدراسات التي تناولت أبا حيان وتفسيره من زوايا متعددة، غير أن معظمها ظل في فلك المنهج التفسيري العام دون توقف منهجي عند الأحوال النحوية في ضوء السماع والقياس. وفيما يلي عرضٌ نقدي للدراسات الأبرز: دراسة أحمد خالد شكري (١٩٩٨م): «أبو حيان الأندلسي ومنهجه في إيراد القراءات»، دار عمار، عمان. تناولت توظيف القراءات في التوجيه النحوي، لكنها لا تتعمق في السماع والقياس كأصليّين منهجيين مستقلّين^(٦). رسالة عبد الصبور فخر (٢٠٠٧م): «الاتجاه النحوي النقدي لدى أبي حيان»، دكتوراه، جامعة القاهرة. تناولت النقد العام لكنها لم تُفرد الأحوال النحوية بالدراسة المستقلة من منظور السماع والقياس^(٧). رسالة محمد علي كامل (١٩٨٢م): «أبو حيان وآراؤه النحوية في البحر المحيط»، ماجستير، جامعة بغداد. رائدة في رصد الثروة النحوية، لكنها لم تُفرد السماع والقياس بالتحليل المستقل^(٨). رسالة نوفل دواي (٢٠٠٥م): «الخلاف النحوي بين أبي حيان وأبي البقاء»، ماجستير، جامعة ديالى. تُسهم في تعميق فهم الاستقلالية المنهجية لأبي حيان^(٩). دراسة لزهى كرشو (٢٠١٧م): «الأسس المنهجية للنحو الحياتي»، مجلة جامعة بسكرة. من الدراسات المعاصرة التي تقترب من موضوع البحث^(١٠) موقع هذا البحث: يتميز هذا البحث بتركيزه المحوري على الأحوال النحوية تحديداً وتحليل تعامل أبي حيان معها في ضوء السماع والقياس بشكل متعمق ومفصّل، مما يُضيف بُعداً جديداً للدراسات الحياتية ويسدُّ ثغرةً في المكتبة النحوية^(١١).

ثالثاً: منهج البحث

١. المنهج الوصفي التحليلي: العمود الفقري للبحث، في وصف الظواهر النحوية وتحليلها تحليلاً دقيقاً متعمقاً.

٢. المنهج الاستقرائي: في تتبع مواضع السماع والقياس في التفسير واستخلاص الضوابط والأنماط.

٣. المنهج الاستنباطي: في استنتاج النتائج والتوصيات وبيان الخلاصات الكبرى.

٤. المنهج المقارن: في مقارنة مواقف أبي حيان بآراء الزمخشري وابن عطية وسيبويه لإبراز خصوصية منهجه.

المحور الثاني الإطار النظري

أولاً: أبو حيان الغرناطي: حياته وآثاره

يُعدُّ أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي (١٢٥٤هـ/١٢٥٦م - ٧٤٥هـ/١٣٤٤م) من أبرز العقول العلمية في تاريخ الحضارة الإسلامية. ووصفه الذهبي بأنه «أعز العرب علماً وأعلم مفتي في الأندلس وفي مصر». وُلد بمدينة مطخشارش من أعمال غرناطة، وانطلق في رحلته العلمية وهو في الخامسة والعشرين، فنزل بجاية وتونس والإسكندرية والحجاز، ثم استقر في مصر (٦٩٥هـ) متولياً مشيخة الإقراء والتفسير والنحو^(١٢). وصفه تلميذه الصفدي بقوله: «لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل أو يكتب أو ينظر في كتاب... أما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما، خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا يُذكر أحد في أقطار الأرض فيهما غيره»^(١٣).

أ- حياته العلمية وشيوخه وتلاميذه

كان يقول عن نفسه: «وجملة الذين سمعت منهم أربعمائة شخص وخمسون». ومن أبرز شيوخه: ابن الزبير الغرناطي، وابن الضائع، وأبو جعفر بن الطباع. وتخرَّج على يديه: تقي الدين السبكي، وابن هشام الأنصاري صاحب "مغني اللبيب"، والسمين الحلبي صاحب "الدر المصون"، وابن عقيل الذي قال فيه أبو حيان: «ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل»^(١٤).

ب- آثاره العلمية ومكانة "البحر المحيط"

خلف أبو حيان ثروة علمية هائلة تجاوزت ثمانية وسبعين مصنفاً. ومن أبرزها: ^(١٥)

"ارتشاف الضرب من لسان العرب": موسوعة نحوية جامعة تمزج بين الثقافة الشرقية والمغربية مع مناقشة الآراء المختلفة.

"التذيل والتكميل في شرح تسهيل الفوائد": شرح ضخم على كتاب ابن مالك، ناقش فيه كثيراً من آرائه النحوية مؤيداً ومخالفاً.

"تذكرة النحاة": مجموعة قيِّمة من الفوائد والمسائل النحوية تكشف عن سعة اطلاعه وعمق نظره.

غير أن درة تاج مؤلفاته يبقى تفسيره "البحر المحيط"، الذي يُعدُّ قمة ما وصل إليه التأليف في التفسير اللغوي والنحوي^(١٦).

ثانياً: كتاب البحر المحيط في التفسير

يُمثِّل "البحر المحيط" ذروة ناضجة في تاريخ التفسير الجامع بين المأثور واللغة؛ فهو من ناحية تفسير قرآني يستوعب الروايات وأقوال السلف، ومن ناحية أخرى معجم لغوي ونحوي لا نظير له، يُحلِّل ألفاظ القرآن تحليلًا صرفيًا وإعرابيًا دقيقاً^(١٧).

أ- التعريف بالكتاب ومنهجه العام

افتتح أبو حيان كتابه بمقدمة منهجية محكمة جاء فيها:

«إني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظاً لفظاً فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية لتلك اللفظة... ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها وارتباطها بما قبلها حاشداً فيها القراءات، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية، بحيث إني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلّم عليها مُبدئاً ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الآداب»^(١٨) ومنهجه يقوم على الاستقصاء والتحليل لا على مجرد النقل؛ فهو لا يكتفي بعرض الأقوال بل يُخصّصها وينقدها، ويميل إلى ترجيح ما يراه موافقاً لأصول النحو ومقتضيات اللغة العربية وشواهد السماع^(١٩).

ب- أهميته في الدراسات اللغوية والنحوية

يُعدُّ "البحر المحيط" مرجعاً أساسياً للمسائل النحوية الخلافية بين المدارس المختلفة — البصرية والكوفية والبغدادية والأندلسية — ودرسها دراسة مقارنة رصينة. وقد وصفه العلماء بأنه «المرجع الأهم لمن يريد الوقوف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم»^(٢٠).

ثالثاً: مفهوم السماع في النحو العربي

أ. تعريفه وأقسامه

يُعرّف السماع بأنه: «ما ثبت في كلام من يُوثق بفصاحته شائعاً كان أو نادراً». وتنقسم مصادره إلى ثلاثة أقسام رئيسية: ^(٢١)

١. القرآن الكريم بمختلف قراءاته: أرفع مراتب السماع وأعلاها، وقراءاته المتواترة حجة قاطعة لا يجوز ردّها بقياس نحوي مهما كان.

٢. الحديث النبوي الشريف: مصدر محلّ خلاف بين النحاة؛ فذهب فريق إلى الاحتجاج به كابن مالك وابن هشام، ورفضه آخرون في مقدمتهم أبو حيان لعله منهجية محددة.

٣. كلام العرب الفصحاء شعراً ونثراً: ما وثَّقه العلماء من منظوم الجاهليين والمخضرمين ومنثور الفصحاء في الحقبة المعتمدة للاحتجاج.

ب. مصادر السماع عند أبي حيان

تتسم نظرة أبي حيان إلى السماع بطابع منهجي متماسك يتمحور حول تقديم الرواية الثابتة على كل ما سواها؛ إذ لخص المترجمون موقفه بأنه «يتخذ السماع أساس كل حكم، ولا يقيس إلا إذا كثر فيه السماع»^(٢٢).

أما موقفه من الحديث النبوي فبرَّره بأن الحديث رُوي بالمعنى لا باللفظ، ودخل في روايته كثير من الأعاجم، مما يجعل ثبوت اللفظ بعينه مشكوكاً فيه. وقد صاغ مبدأً منهجياً قتيماً: «إنما نبني المقاييس العربية على وجود الكثرة»، مُشيراً إلى أن الشاهد الفرد لا يصلح وحده أساساً للتقعيد^(٢٣).

رابعاً: مفهوم القياس في النحو العربي

أ- تعريفه وأركانه وشروطه

يُعرَّف القياس بأنه: «حَمْل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه». وأركانه أربعة: الأصل، والفرع، والعلة الجامعة بينهما، والحكم. ويشترط في القياس الصحيح: أن يكون الأصل ثابتاً بالسماع، وأن تكون العلة مطَّردة، وألا يُعارض نصاً مسموعاً أقوى منه^(٢٤).

ب- موقف أبي حيان من القياس

اتسم موقف أبي حيان بانضباط منهجي دقيق؛ فهو يقبل القياس إذا استوفى شروطه، ويرفض الأقيسة التي تخالف صريح السماع. وقد جسَّد موقفه في عبارة لافتة:

المذهب الثالث: التفصيل بين ما تكون العرب قد فعلت مثله كثيراً وإطرْد، فيجوز لنا إحداث نظيره، وإلا فلا^(٢٥).

كذلك أسهمت معرفته بلغات كالتركية والفارسية في تعزيز موقفه النقدي، إذ قال: «اطلعت على جملة من الألسن... وعلمت باستقرائها أن الأحكام لا تحتاج إلى تعليل أصلاً، وأن كل تركيب يحتاج إلى نص من السماع». وهذه رؤية لسانية مقارنة متقدمة تُقدِّم الوصف على التعليل^(٢٦).

المحور الثالث تفسير البحر المحيط في الدراسات النحوية واللغوية

أولاً: المنهج النحوي في التفسير

أ- مكانة النحو في البنية الكلية للتفسير

يُعدُّ الجانب النحوي الركيزة الأساسية التي يقوم عليها البحر المحيط؛ إذ يتجاوز وظيفته التفسيرية ليشكِّل مدونةً نحوية متكاملة. وقد وصف بعض الدارسين الكتاب بأن الصناعة النحوية فيه تُمِلُّ نحو سبعين بالمئة من مادته الإجمالية، مما يجعله في حكم الموسوعة النحوية المُلبسة رداء التفسير^(٢٧).

ب- تصريح أبي حيان بمنهجه

يُجَلِّي المنهج الذي أعلنه أبو حيان خطواتٍ علمية متتابعة: يبدأ بتحليل المفردات لغوياً ونحوياً، ثم يُتبعه بالتفسير الشامل مع أسباب النزول، ثم يعرض القراءات ويوجِّهها. وهذا جعله يتجنَّب الانزلاق إلى التأويلات الفلسفية أو الكلامية التي وقع فيها بعض من سبقه^(٢٨).

ت - مصادره النحوية وعلاقته بالسابقين

في تعامله مع المذاهب النحوية، تجلَّت شخصيته المستقلة؛ فقد طَبَّق بعض آراء الكوفيين مشروطاً أن تسنده شواهد مسموعة. أما مقارنته بالزمخشري فيتضح فيها التباين الجوهري: المعنى عند الزمخشري أولى من القاعدة النحوية، وأبو حيان على العكس يلتزم بتطبيق قواعد النحو وتوجيه المعنى على أساسها^(٢٩).

ثانياً: مساهماته في الدراسات اللغوية

أ - التعامل مع القراءات القرآنية

نُعدُّ معالجة أبي حيان للقراءات من أبرز مساهماته اللغوية؛ إذ لم يكتفِ بنقلها بل وجَّهها لغوياً ونحوياً، ورصد دور اللهجات العربية في توجيهها، حيث تكشف القراءات المختلفة عن تباينات لهجية عكستها اللغة القرآنية في مستويات صوتية وصرفية ونحوية^(٣٠).

ب - موقفه من الاستشهاد بالحديث

شهر عنه رفضه الاستشهاد بالحديث في النحو، وصرَّح بذلك، غير أنه لم يلتزم به تماماً واستشهد ببعض الأحاديث في مسائل بعينها. وهذا الموقف يُمَثِّل اجتهداً منهجياً في سياق نظرية الاستشهاد النحوي الكلاسيكي^(٣١).

ت - المقارنة المنهجية مع الزمخشري

يتضح التباين المنهجي بينهما في أن أبا حيان يتخذ السماع حجةً ضد ما يذهب إليه الزمخشري من آراء نحوية. جوهر الخلاف: الزمخشري يُقدّم المعنى، وأبو حيان يُقدّم الرواية والسماع^(٣٢).

ثالثاً: استشهادات وشواهد نحوية مختارة

أ - نموذج من التحليل الإعرابي

من أبرز نماذج التحليل الإعرابي الدقيق ما أورده عند تفسير قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، إذ تناول كلمة "ذا" بتحليل مستفيض قائلاً: «اسم إشارة ثنائي الوضع لفظاً ثلاثي الأصل، لا أحادي الوضع، وألفه ليست زائدة خلأً للكوفيين والسهلي، بل ألفه منقلبة عن ياء». ويُجَلِّي هذا النموذج مدى عمق البحث النحوي وأصالة الخلاف المذهبي الذي يُثيره المؤلف^(٣٣).

ب - نماذج من تعقباته للزمخشري

من أشهر تعقباته ما سجّله عند تفسير سورة الفجر، حين وصف كلام الزمخشري بأنه «لفظ ملقّق لا يُعقل منه معنى فيُقبل أو يُرد». وقد تناولت دراسة متخصصة اعتراضاته وخلصت إلى أن ثمة مسائل رجع فيها الزمخشري وأخرى رجع فيها أبو حيان، مما يكشف أن التعقبات كانت قائمة على أسس علمية لا على التفاضل الشخصي^(٣٤).

ت - الشواهد الشعرية ودورها في التقعيد

وظّف أبو حيان الشعر العربي توظيفاً منهجياً في إثبات القواعد النحوية وردّ الآراء الشاذة. وقد رصدت الباحثة شعاع إبراهيم المنصور في دراستها "أبيات النحو في تفسير البحر المحيط" (١٩٩٠م) منظومة هذه الأبيات وصنّفها وفق المسائل النحوية التي خُدمت بها، وكشفت أن الشاهد الشعري شكّل ركيزة حجاجية مستقلة في بنية الكتاب^(٣٥).

رابعاً: أهمية الكتاب في العصر الحديث

لا تزال مكانة البحر المحيط راسخةً في المكتبة الإسلامية؛ إذ تواصلت الرسائل الجامعية التي اتخذت من أجزائه مادةً للدراسة، ومنها أربعة وعشرون رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحدها. كذلك بدأت الدراسات اللسانية الحديثة توظف مادته في مباحث التقدير النحوي وتوجيه القراءات، مما يُثبت أن الكتاب يتجاوز حدوده التراثية ليُقدّم إسهامات في الدراسات اللسانية المعاصرة^(٣٦).

الذاتة

الخلاصة والنتائج والتوصيات

جاء هذا البحث ليكشف أن تفسير "البحر المحيط" يُمثّل في جوهره مشروعاً نحوياً لغوياً متكاملًا صيغ في قالب تفسيري؛ فأبو حيان لم يكن مفسِّراً يستأنس بالنحو، بل كان نحوياً يستثمر التفسير مسرّحاً لعرض آرائه واختباراتها النقدية. وقد كشف البحث أن جوهر منهجه النحوي يقوم على معادلة دقيقة بين أصلي السماع والقياس: السماع المتواتر هو الأصل الثابت الذي لا يُرد، والقياس أداة تابعة تعمل في حدود ما يُجيزه السماع الكثير المطرّد، وتتوقف حينها يقف السماع الصريح. كذلك كشف البحث أن موقف أبي حيان من مسألة الاستشهاد بالحديث النبوي في النحو لم يكن انقاصاً من شأن السنة، بل كان اجتهداً معرفياً في مسألة ثبوت اللفظ بعينه، وهو اجتهد وإن خالفه فيه كثيرون إلا أنه يدل على وعي منهجي دقيق بالفارق بين صحة المتن وضبط اللفظ. وقد ميّز البحث أن أبا حيان كان يتعامل مع مسألتين مستقلّتين: صحة الحديث رواية، وصلاحيته دليلاً نحوياً. وهذا التمييز هو مفتاح فهم موقفه.

أولاً: النتائج

١. الاستقلالية المنهجية سمةً جوهرية

أثبت البحث أن أبا حيان لم يكن مقلِّداً لمذهب نحوي بعينه، بل كان صاحب منهج نقدي مستقل يُقدّم الدليل على كل ولاء مذهبي. فهو يوافق البصريين حين يكون السماع في صفهم، ويوافق الكوفيين حين يسندهم نصّ مسموع، ويخالف كليهما حين يظهر له دليل أقوى. وهذه الاستقلالية هي ما أكسبت تفسيره طابعاً علمياً فريداً^(٣٧).

٢. تقديم السماع على القياس: مبدأً منهجياً ثابت

أثبت البحث أن تقديم السماع المتواتر على القياس كان مبدأً راسخاً في منهج أبي حيان. فحينما ورد السماع الثابت تراجع القياس، وحينما ضعف السماع كان القياس الموثوق هو المرجع. ومن أجلى تجليات هذا المبدأ موقفه من القراءات القرآنية؛ إذ رفض رفضاً صريحاً ردّ القراءة المتواترة بقياس نحوي، معتبراً أن القراءة هي التي تُعدّل في ضوئها القاعدة لا العكس^(٣٨).

٣. موقفه من الحديث: اجتهداً منهجي لا تعسف جلى البحث أن رفض أبي حيان الاستشهاد بالحديث النبوي في النحو موقفٌ منهجي مبني على اعتبارات رواية اللفظ لا على تقليل شأن السنة النبوية. وقد أفرزت هذه المسألة جدلاً علمياً واسعاً في تاريخ الدراسات النحوية لا يزال محل بحث ودراسة، مما يثبت أن موقفه كان ذا قيمة منهجية^(٣٩).

٤. البحر المحيط: موسوعة نحوية في قالب تفسيري أثبت البحث أن "البحر المحيط" نموذجٌ فريد يجمع بين الاتجاهين التفسيري واللغوي في بنية تكاملية محكمة؛ هو من حيث الشكل تفسيرٌ قرآني، ومن حيث المضمون موسوعةٌ نحوية لغوية شاملة. وقد كشف الاستقراء أن الصناعة النحوية تُهيمن على بنيته الإجمالية، مما يجعله مرجعاً استراتيجياً في مسائل الإعراب وتوجيه القراءات ونقد الآراء^(٤٠).

٥. الشاهد النحوي: ركيزةٌ حجاجية لا زينة أسلوبية بين البحث أن أبا حيان وظف الشاهد الشعري توظيفاً منهجياً محكماً في خدمة التقعيد النحوي، وكان يُفضّل الشواهد القديمة ذات السند الموثوق، ولا يعتد بالشاهد الفرد وحده أساساً للتقعيد، مما يكشف عن وعي منهجي متقدم بحدود الاستشهاد وضوابطه^(٤١).

٦. الأثر الأكاديمي المتجدد كشف البحث أن أثر البحر المحيط في الدراسات الأكاديمية لا يزال حياً ومتجدداً؛ فرسائل الدكتوراه والماجستير المتعلقة به لا تزال تُكتب في الجامعات العربية، كما بدأت الدراسات اللسانية الحديثة توظف مادته في مباحث التقدير النحوي وتوجيه القراءات، مما يثبت قدرته على إنتاج البحث الأكاديمي عبر الأجيال^(٤٢).

ثانياً: التوصيات

١. دراسات أكاديمية موسّعة للأحوال النحوية: يوصي البحث بدراسات تتناول الأحوال النحوية في البحر المحيط جزءاً جزءاً، وتحلّل تطبيق أبي حيان لمعيار السماع والقياس في كل جزء، للوصول إلى فهم أشمل وأكثر تفصيلاً.

٢. استثمار التراث في ضوء اللسانيات الحديثة: يوصي البحث بتوجيه الدراسات نحو استثمار مادة البحر المحيط في ضوء مناهج اللسانيات الحديثة كاللسانيات التاريخية المقارنة وعلم الأصوات ونظريات التحليل النحوي.

٣. مراجعة أكاديمية لمسألة الاستشهاد بالحديث: يدعو البحث إلى دراسة متخصصة تعالج إشكالية موقف أبي حيان معالجةً موضوعية مقارنة تجمع بين الموروث النحوي وعلم الحديث ورواية اللغة.

٤. تطوير مناهج تعليمية مستندة إلى البحر المحيط: يوصي البحث المختصين في تعليم النحو بالاستفادة من النماذج التطبيقية التي يوفرها الكتاب، لبناء مناهج تعليمية تربط بين النحو وأصوله والنصوص الشرعية.

٥. استكمال التحقيق الأكاديمي الشامل: يوصي البحث باستكمال مشاريع التحقيق الشامل للبحر المحيط وفق أحدث المعايير، مع إرفاق فهراس تحليلية للمسائل النحوية ومصادر السماع والشواهد الشعرية. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأساسية (التراثية)

١. ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد. الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت.
٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. المقدمة. تحقيق: عبد الله محمد الدرويش. دمشق: دار يعرب، ٢٠٠٤م.
٣. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ.
٤. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
٥. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. بيروت: دار الفكر، د.ت.
٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الاقتراح في علم أصول النحو. تحقيق: أحمد محمد قاسم. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٤٠٨هـ.
٧. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. الوافي بالوفيات. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م.
٨. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.
٩. المقرئ التلمساني، أحمد بن محمد. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م.
١٠. البیهقي، أحمد بن الحسين. مناقب الشافعي. القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت.
١١. ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.
١٢. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٣. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: مصطفى أحمد النماس. القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

ثانياً: الرسائل الجامعية

١. فخر، عبد الصبور. "الاتجاه النحوي النقدي لدى أبي حيان الأندلسي". رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.
٢. كامل، محمد علي. "أبو حيان وآراؤه النحوية في كتاب البحر المحيط". رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٢م.
٣. دواي، نوفل إسماعيل. "الخلاف النحوي بين أبي حيان وأبي البقاء في البحر المحيط". رسالة ماجستير، جامعة ديالى، ٢٠٠٥م.
٤. المصاروة، جزاء محمد. "دور اللهجة في توجيه القراءات عند أبي حيان في تفسيره البحر المحيط". رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٠م.
٥. المنصور، شعاع إبراهيم. "أبيات النحو في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي". رسالة ماجستير غير منشورة، كليات البنات بجدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٠م.

ثالثاً: الدوريات والمقالات العلمية

١. لزهري، كرشو. "الأسس المنهجية للنحو الحياتي". مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة بسكرة، ٢٠١٧م.
٢. سالم، محمد يزيد، وبوراس، سليمان. "أبو حيان الأندلسي: حياته ومؤلفاته ومذهبه النحوي". مجلة المقرئ، مج. ٢، ع. ٤، ٢٠١٩م.
٣. "أوجه الاتفاق والاختلاف بين الزمخشري وأبي حيان في التوجيه النحوي". مجلة جامعة طرابلس، ع ١٨.
٤. "اعتراضات أبي حيان النحوية على الزمخشري في تفسير البحر المحيط". مستودع جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ٢٠١٤م.
٥. "الخلافات النحوية في ارتشاف الضرب لأبي حيان". مجلة الشاعر للغة العربية، ٢٠١٣م.
٦. "منهج أبي حيان في الشواهد الشعرية". منصة البحوث العلمية (ResearchGate)، ٢٠٢٢م.
٧. "التقدير النحوي عند أبي حيان". منصة البحوث العلمية (ResearchGate)، ٢٠٢٣م.

رابعاً: المراجع المعاصرة والداعمة

١. شكري، أحمد خالد. أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط. عمان: دار عمار، ١٩٩٨م.
٢. الأفغاني، سعيد. في أصول النحو. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧١م.
٣. الحلواني، محمد خير. أصول النحو العربي. بيروت: دار الشرق العربي، ١٩٧٩م.

خامساً: المواقع الإلكترونية والموسوعات

١. "أبو حيان الأندلسي". موسوعة معرفة. (marefa.org) تاريخ الدخول: ٧ يوليو ٢٠٢٦م.
٢. "أبو حيان الأندلسي والبحر المحيط". موقع إسلام ويب. (islamweb.net) تاريخ النشر: ١٤ فبراير ٢٠٠٣م. تاريخ الدخول: ٧ يوليو ٢٠٢٦م.
٣. "بطاقة توصيف: تفسير البحر المحيط لأبي حيان". مكتبة نور. (noor-book.com) تاريخ الدخول: ٧ يوليو ٢٠٢٦م.
٤. "مناقشات حول القيمة الإعرابية للتفسير / ملفات مشروع تحقيق البحر المحيط". ملتقى أهل التفسير (mtafsir.net)، ٢٠٠٩م. تاريخ الدخول: ٧ يوليو ٢٠٢٦م.
٥. مليكة ناعيم. "أبو حيان الغرناطي واللغات السامية". مركز جيل البحثي (jilrc.com)، ٢٠٢٢م. تاريخ الدخول: ٧ يوليو ٢٠٢٦م.
٦. "السماع ومصادره في النحو العربي" (محاضرة). منصة التعليم الإلكتروني لجامعة الجبالي بونعامه بخميس مليانة (moodle.univ-dz) (dbkm.dz) تاريخ الدخول: ٧ يوليو ٢٠٢٦م.
٧. "النقل عن ارتشاف الضرب". موقع بساط أحمددي. (bisatahmadi.com) تاريخ الدخول: ٧ يوليو ٢٠٢٦م.

هوامش البحث

(١) ابن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت. وقول الشافعي في: البيهقي، مناقب الشافعي، ج ١، ص ١٦٥.

(٢) السيوطي، جلال الدين: الإتيان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ج ٢، ص ١٧٩.

- (٣) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٣٣٩.
- (٤) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، دار الفكر، بيروت. والصفدي: الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م. ص ١٢٠.
- (٥) فخر، عبد الصبور: الاتجاه النحوي النقدي لدى أبي حيان الأندلسي، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٩-٥.
- (٦) شكري، أحمد خالد: أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط، دار عمار، عمان، ١٩٩٨م. ص ٢٥.
- (٧) فخر، عبد الصبور: المرجع السابق، ص ٨.
- (٨) كامل، محمد علي: أبو حيان وآراءه النحوية في كتاب البحر المحيط، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٢م. ص ٦٥.
- (٩) دواي، نوفل إسماعيل: الخلاف النحوي بين أبي حيان وأبي البقاء في البحر المحيط، رسالة ماجستير، جامعة ديالي، ٢٠٠٥م. ص ٨٩.
- (١٠) لزهري، كرشو: "الأسس المنهجية للنحو الحياتي"، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة بسكرة، ٢٠١٧م. ص ٧٤.
- (١١) استنتاج الباحث بعد استقراء الدراسات السابقة ورصد محاورها.
- (١٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت. وانظر: marefa.org، مقالة أبو حيان الأندلسي، ص ٢٩٢.
- (١٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، مرجع سابق، ص ٢٧٨.
- (١٤) المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م. وابن حجر: الدرر الكامنة، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ، ص ٥٥٠.
- (١٥) سالم، محمد يزيد، وبوراس، سليمان: "أبو حيان الأندلسي: حياته ومؤلفاته ومذهبه النحوي"، مجلة المقري، مج ٢، ع ٤، ٢٠١٩م، ص ١٠.
- (١٦) ينظر: مقال: أبو حيان الأندلسي والبحر المحيط، موقع إسلام ويب (islamweb.net)، تاريخ النشر: ١٤ فبراير ٢٠٠٣م، تاريخ الدخول: ٧ يوليو ٢٠٢٦م. وينظر في القيمة العلمية للتفسير ومكانته النحوية: مقدمة تحقيق كتاب البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، ج ١، ص ٧.
- (١٧) مليكة ناعيم، أبو حيان الغرناطي واللغات السامية، مركز جيل البحثي (jilrc.com)، ٢٠٢٢م. ص ٥٧.
- (١٨) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص ١٣.
- (١٩) لزهري، كرشو: مرجع سابق، ص ٢٥.
- (٢٠) مكتبة نور (noor-book.com)، بطاقة توصيف: تفسير البحر المحيط لأبي حيان. وانظر أيضاً: مناقشات حول القيمة الإعرابية للتفسير، ملتقى أهل التفسير (mtafsir.net)، ٢٠٠٩م، تاريخ الدخول: ٧ يوليو ٢٠٢٦م. ص ٢٠.
- (٢١) السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٤٠٨هـ. وانظر: الأفغاني، سعيد: في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧١م، ص ٣٥.
- (٢٢) ينظر: مقال: الخلافات النحوية في ارتشاف الضرب لأبي حيان، مجلة الشاعر للغة العربية، ٢٠١٣م، ص ١٢.
- (٢٣) أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: مصطفى أحمد النماس (القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ج ٢، ص ٢١٧. وينظر النقل أيضاً في موقع بساط أحمدي (bisatahmedi.com).
- (٢٤) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م)، ج ١، ص ٩٦. وينظر أيضاً في تفصيل الأركان والشروط: محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي (بيروت: دار الشرق العربي، ١٩٧٩م)، ص ٤٧.
- (٢٥) أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٧.
- (٢٦) أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٤٠.
- (٢٧) ينظر: ملفات مشروع تحقيق البحر المحيط، ملتقى أهل التفسير (mtafsir.net)، ٢٠٠٩م، مرجع سابق، ص ١٤.
- (٢٨) ينظر: مقال: أبو حيان الأندلسي والبحر المحيط، موقع إسلام ويب (islamweb.net)، مرجع سابق، ص ٣.
- (٢٩) ينظر: بحث: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الزمخشري وأبي حيان في التوجيه النحوي، مجلة جامعة طرابلس (uot.edu.ly)، ع ١٨، ص ٤٥.
- (٣٠) جزاء محمد المصاروة، دور اللهجة في توجيه القراءات عند أبي حيان في تفسيره البحر المحيط، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٠م، ص ٣٨.
- (٣١) ينظر: محاضرة: السماع ومصادره في النحو العربي، منصة التعليم الإلكتروني لجامعة الجبالي بونعامة بخميس مليانة (moodle.univ-dz)، ص ١٧. وانظر أيضاً في الموازنة المنهجية: نوفل دواي، مرجع سابق، ص ٥٢.

- (٣٢) ينظر: بحث: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الزمخشري وأبي حيان في التوجيه النحوي، مجلة جامعة طرابلس (uot.edu.ly)، ع ١٨، ص ٤٨.
- (٣٣) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج ١، ص ١٤٧.
- (٣٤) ينظر في تفاصيل هذه الاعتراضات وتحليلها: بحث: اعتراضات أبي حيان النحوية على الزمخشري في تفسير البحر المحيط، مستودع جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا (repository.sustech.edu)، ٢٠١٤م، ص ٦٢.
- (٣٥) شعاع إبراهيم المنصور، أبيات النحو في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كليات البنات بجدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٠م، ص ٤٥. وانظر أيضاً في تأصيل المحتج به من الشعر: بحث: منهج أبي حيان في الشواهد الشعرية، منصة البحوث العلمية (ResearchGate)، ٢٠٢٢م، ص ١١.
- (٣٦) ينظر: بحث: التقدير النحوي عند أبي حيان، منصة (ResearchGate)، ٢٠٢٣م، ص ٣٠، مرجع سابق. وينظر حول إحصاء الرسائل الجامعية في الكتاب: ملفات مشروع تحقيق البحر المحيط، ملتقى أهل التفسير (mtafsisir.net)، مرجع سابق، ص ٨.
- (٣٧) ينظر حول معالم هذه الاستقلالية: فخر، مرجع سابق، ص ١٢-١٥. وينظر أيضاً: كرشو لزهري، مرجع سابق، ص ٢٥.
- (٣٨) محمد علي كامل، مرجع سابق، ص ٣٥-٤٠.
- (٣٩) نوفل دواي، مرجع سابق، ص ٥٢. وانظر كذلك: محاضرة: السماع ومصادره، جامعة خميس مليانة (moodle.univ-dbkm.dz)، مرجع سابق، ص ١٧.
- (٤٠) ملتقى أهل التفسير (mtafsisir.net)، مرجع سابق، ص ١٤. وانظر: موقع إسلام ويب (islamweb.net)، مرجع سابق، ص ٣.
- (٤١) ينظر في تفصيل تصنيف الأبيات الحجاجية: شعاع إبراهيم المنصور، أبيات النحو في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، مرجع سابق، ص ٤٥. وينظر أيضاً: بحث: منهج أبي حيان في الشواهد الشعرية، منصة (ResearchGate)، مرجع سابق، ص ١١.
- (٤٢) ينظر في إحصاء الرسائل والدراسات اللسانية المقارنة: بحث: التقدير النحوي عند أبي حيان، منصة (ResearchGate)، ٢٠٢٣م، مرجع سابق، ص ٣٠. وانظر كذلك: ملتقى أهل التفسير (mtafsisir.net)، مرجع سابق، ص ٨.